

هل سَيُكون تَجْمِيد الْوَدَائِع وَالاستِثمارَات مِنْ بَيْنِ الْعُقوباتِ الَّتِي يُفْهَدِّدُ
بِهَا تَرَامِبُ الْسَّعُودِيَّة؟ وَلِمَاذَا لَا يَسْتَبْعُدُ الْكَثِيرُون رَدًّا "انْتَهَارِيًّا"
سُعُودِيًّا عَلَى هَذِهِ التَّهْدِيدات؟

عبد الباري عطوان
أردوغان قبل إعلان الأدلة المُصوّرة؟ وهل أجبَرت المؤسسة الأمريكية "العَمِيقَة" الْبَيْتَ الْأَبِيسَنَ على التَّرَاجُّع؟ وماذا يَنْتَظِرُ

البيان الذي أصدرته الحكومة السعوديةاليوم ورفعت فيه التهديدات الأمريكية بفرض عقوبات اقتصادية، وربما سياسية، عليها في حال ثبات تورطها في خطف وقتل الصحفى جمال خاشقji، يعكس حذمة هذه التهديدات أو لا، والقلق منها تزايداً، والذرة الانتحارية في التهدئة لها ثالثاً، وهذه المرّة الأولى، ومنذ ثمانيين عاماً، يتداول فيها "اللیفان" هذه التهديدات علانية، وبالصورة التي نشاهدها.

الرئيس الأمريكي دونالد ترامب خصّع لضغوط "المؤسسة" أو الدولة الأمريكية العميقة ومُؤسساتها فيما يبدوا، واضطرب للترجُع عن مواقفه السابقة التي قاتل فيها من أهمية الجريمة، وأوحى بغضّل يديه من أي تحرّك ضدّها، عندما قال في حديث مع محطة "فوكس" أن "خاشقجي ليس أمريكيًا، والجريمة لم تقع على أرض أمريكا، وأن هناك صفة أسلحة مع السعودية بأكثر من 110 مليارات دولار لا يمكن الترجُع عنها لأنّها تعزّي الوظائف، واستمرار ازدهار الاقتصاد الأمريكي".

ترامب غير لهجته، وتَوَعَّدَ بـأنّه سـيكون هـنـاك "عـقـاب شـدـيد" إذا تـبـيـنـ أنـ "خـاـشـقـجيـ قـتـلـ دـاخـلـ القـنـصـلـيـةـ السـعـودـيـةـ فيـ إـسـطـنـبـولـ، دـوـنـ أـنـ يـحـدـدـ طـبـيـعـةـ هـذـاـ العـقـابـ، وـأـوحـىـ فـيـ الـوقـتـ زـفـسـهـ، بـأـنـ "جـرـيمـةـ القـتـلـ وـقـعـتـ فـعـلاـ، وـأـنـ "حـلـفاءـهـ" الـأـتـرـاـكـ الـقـدـامـيـ الـجـدـدـ زـوـدـوهـ بـالـأـدـلـةـ الدـمـاغـةـ.

الأمر المُؤكّد أنّ ترَامب الذي هاجَمَ المملكة العربيّة السعودية بطَرِيقٍ ابتزازيًّا وَقَحَّا أكثرَ مِنْ أربعَ مرّاتٍ في أقلَّ مِنْ أُسْبُوعَيْن، واستخدم العَبارات نفسها حول امتلاكِها ثَرَواتٌ ضَخْمة، وتَهَمَّتْ عَلَيْها بالحرْمَاءِ مَجَازًا وهي الحرْمَاءُ التي لولاهَا لاحتَّتها إيران في 12 دقيقة، ترَامب كانَ يُوَظِّفُ هذا الابتزاز في حَملةِ حزبه الجمهوريِّ الانتخابيَّة مع اقترابِ موعدِ الانتخابات التشريعيةِ النَّصْفيَّة (بعد ثلاثةِ أسابيع)، ولا بُدُّ أَنَّهُ أدركَ، وفي الإطارِ نَفْسِهِ، أنَّ الرأي العامَ الأمريكيَّ يعيش حالياً حَالَةً مِنَ الصَّدمةِ مِنْ جَراءِ تَواتُرِ الأخبارِ في إعلامِ بلدِهِ عَنْ خَطْفِ الصحافيِّ خاشقجي، وتَقطيعِ أوصالِهِ داخِلَ قُنصليَّةِ بلدِهِ في إسطنبول، ولذلك يُريدُ، أي ترَامب، تَوظيفِ حَالَةِ الصَّدمةِ هَذِهِ المَمزوجةِ بالغَضْبِ، في خدمةِ مصالحِهِ الانتخابيَّة، والظُّهُورُ بمَظهرِ الرَّجُلِ القويِّ الذي لا يَتردُّدُ في مُعاقبَةِ المَسؤولين عَنِ الجَريمةِ.

ترَامب لا يُحبُّ السُّعوديَّين، ويَكرَهُ العربَ والمُسلِّمين، ولكنَّهُ لا يُخفِي غَرامَهُ بالثَّرَواتِ السعوديةِ والخليجيَّةِ، ويَعتقدُ أَنَّهُ يَجِبُ أنْ يَحْصُلَ على نِسْبَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْها باعتبارِ بلادِهِ تُوفِّرُ الحرْمَاءَ ولِمَا يَقرُّبُ مِنْ ثَمانينِ عاماً لِهَذِهِ الثَّرَواتِ، والدُّولَةِ الْمُتَبرِّعَةِ على عَرْشِ آثارِهَا، ولن يتَرددَ في نَهْبِها، بِطُرقِ البَلْطَجَةِ، سُوءِ استغْلاَلِهِ الأزَمَّةِ، أوِّفي مَرْحلَةِ لاحِقَّةٍ.

لاري كوديو، المستشار الاقتصادي للبيت الأبيض، الذي لا يقبل عذًّا صريحةً تُجاه العرب والمُسلمين عن رئيسه، حَذَّر مِنْ أنَّ الرئيس ترامب "جادٌ جداً جداً" في تَهديداته هذه، وهذا يعني أن هناك إجراءات ربما جرى الاتفاق عليها في حال ثبات تورط السعودية في الجريمة، ومن غير المستبعد أن يكون من بينها تَجميد الأموال والودائع والاستثمارات السعودية في أمريكا التي تزيد عن ترليوني دولار على الأقل، تماماً مثلما حصل للأموال والودائع الإيرانية في البنوك الأمريكية بعد إسقاط الشاه، ونجاح ثورة الإمام الخميني عام 1979.

المُغَرِّدون السُّعُوديَّون "الكبار" شَرَحُوا بعض جوانب الرَّدِّ السُّعُوديِّ المُحتَمل، والذي قال البيان الرسمي أنَّه سَيَكون أكثَر صرامةً، وسيَستخدِم القُوَّة الاقتصادية والماليَّة السُّعُوديَّة كسلاح، ولمَّا حوا إلى أنَّ بلادهم قد توجَّهَ إلى روسيا والصين لشراء صفقات الأسلحة، وربما تذهب إلى ما هو أبعد مِن ذلك، أي المُصالحة مع إيران والتَّحالف معها في وجه أمريكا والغرب. أن تُوفِّد الحكومة السُّعُوديَّة الأمير خالد الفيصل على رأس وفدٍ إلى أنقرة للتباحث مع نظيرتها التركية حول كيفية التعاون لإيجاد مخرج من هذه الأزمة، فهذا يعني أنَّها تتجذَّب المُواجهة مع أنقرة، وتُفضِّل الدبلوماسيَّة، فالامير خالد الفيصل، مستشار العاهل السعودي يوصي بأنَّه من أكثر الأُمراء تعاقلاً وحكمةً، فعلاوةً على كونه شاعرًا ورساماً، ومنشقًا، وأميرًا لمنطقة مكة المكرمة، تربطه صداقة قوية بالمسؤولين الأتراك، وبالخاشقجي أيضًا، الذي عمل رئيساً لتحرير صحيفة "الوطن" التي أسسها في أ بها،

وأرادَها أن تكون صُورَةً للإعلام السعوديِّ الجديد، وهي رغبة لم تتحققْ قَدْرَهَا لفترةٍ قَصِيرَةٍ، ولكن ماذا تستطيع أن تفعل الحِكْمَة والتَّعْقِيل في حلِّ أزمَةٍ تتعلَّق بحَرَمَةٍ شَبَهَ مُؤْكَدَةٍ، ومُنْذَفَّودَها "هُواة" ورأي عام محلِّيٍّ دوليٌّ مُعَابِدٌ ضدَّ "الدَّولَة" المُتَّهَمة بالوقوف خلفَها؟

القيادَة السعودية تُواجه مأزَقًا لم تُواجهه مثلَه مِنْ قَبْلٍ، فالتدَّاعُطُ مع الخاشقجي، سعوديًّا وعربيًّا ودوليًّا، فاقَ كُلَّ الْحُدُودِ، والتَّهْمَةُ المُوجَّهةُ إلَيْها بقَاتِلِه تكاد تكون شَبَهَ مُؤْكَدَة، والدَّفاعُ عنها يبدو مَحْدُودًا، باستثناءِ بعضِ المُقرَّ بين جَدَّاء، ولا يَعتقدُ أنَّ إرسال وفد إلى أنقرة يُمْكِنُ أن يُغيِّرَ كثيرًا مِنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ، والشَّيءُ نَفْسِهِ يُقالُ أيضًا عن الهَجَمات الشَّرِسَةِ التي جرى شُدُّها ضدَّ خُصُومَها على وسائل التواصل الاجتماعي، فهَذِهِ الهَجَماتُ أَعْطَتَتْ وَتُعطِي نتائِجَ عَكْسِيَّةً تمامًا، وتُبَدِّدُ أيَّ تَعْاطُفٍ، وتُحرِّجُ الأصدقاء، أو مَنْ تَبَقَّى مِنْهُمْ.

13 يومًا مَرَّتْ على "اختفاءِ" الخاشقجي، والأمن التركي يُهدِّدُ بِأَنَّهُ يَمْلُكُ شَرِيطَةً مُصَوَّرًا لعمليةِ القَتْلِ داخلِ القُنْصُلِيَّةِ، ويُنْتَظرُ مِنَ الْوَفَدِ السُّعُودِيِّ الزائرُ أن يُقَدِّمَ له الجُثمان، أو بقاياه، قبل اقتحام القُنْصُلِيَّةِ وَمَنْزِلِ القُنْصلِ، وإصدارِ نتائِجِ التَّحقيقاتِ وَتَوجيهِ الاتهاماتِ رسميًّا، أو هكذا تقولُ أجهَزةُ إعلاميَّةٍ، وَتَحْوِيلِها إلى قضيَّةٍ دوليَّةٍ ربَّما تُؤَدِّي إلى المُطالَبة بـ"رؤوسٍ كَبِيرَةٍ" جَدَّاء في الدَّولَةِ السُّعُودِيَّةِ.

33 ملياري دولار خَسَائِرُ البُورصةِ والأسهمِ السُّعُودِيَّةِ الْيَوْمُ الْأَحَدُ فَقْطُ، وهُنَاكُ العَدِيدُ مِنَ الشَّرِكَاتِ والشَّخْصِيَّاتِ الْعَالَمِيَّةِ الْإِقْتَصَادِيَّةِ وَالْإِلَاعَمِيَّةِ أَعْلَانَتْ انسحابَهَا مِنَ الْمُشارِكةِ في مُؤْتَمِرِ استثماريٍّ عالميٍّ يُعقدُ في الرياضِ الْأُسْبُوعِ الْمُقْبِلِ تحتِ اسمِ "دافوسِ الصَّحَراءِ" احتجاجًا على اختفاءِ الخاشقجي، وجاءَ البيانُ الثُّلاثِيُّ الـ"برِيطانيُّ" الـ"الألمانيُّ" الـ"فرنسيُّ" الصَّادِرُ عَنْ وزراءِ الْخَارِجِيَّةِ الَّذِي يُطالبُ بـ"تحقيقٍ مُوثَقٍ" لمَعْرِفَةِ حقيقةِ ما حَدَّثَ في القُنْصُلِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ وَتَحْدِيدِ هُويَّةِ الْمَسْؤُولِينِ وَتَقْدِيمِهِمْ إِلَى الْعَدَالَةِ، ليَرْتُشِ الْمَزِيدُ مِنَ الْمِلْحِ على جُنُوحِ الأَزَمَّةِ، وربَّما يَجْعَلُ مِنْ حُصولِ السُّعُودِيَّةِ عَلَى مَسَفَقَاتِ أَسْلَحةٍ أَكْثَرَ صُعُوبَةً، ممَّا يَنْعَكِسُ سَلْبًا على الْحَرَبِ في الْيَمَنِ.

لَعْنَدَةِ جمالِ خاشقجي سَدَطَتْهُ الْمُلْكَةُ وَالْمَسْؤُولِينَ الْكَبَارِ فِيهَا لأشَهُرٍ، وربَّما لسَنَواتٍ قادِمةٍ، خاصَّةً إِذَا رفعتَ أمْرِيَكا والدُّولَةُ الْأُورُوبِيَّةُ الْأَمْنِيَّ الْحِمَائِيَّ، وَيَبْدُونَ أَنَّ هُنَاكَ مُؤْشِّراتٍ تُوحِّي بـ"ذلك".

هَذِهِ الْجَرِيمَةُ إِذَا تَأكَّدَتْ تَوَرُّطُ الْمَسْؤُولِينَ السُّعُودِيَّينَ فِيهَا، ستُحدِّثُ تَغْيِيرَاتٍ كبيرةً وربَّما جَذَرِيَّةً في الْمُلْكَةِ، دَاخِلِيَّا وَخَارِجِيَّا، وَسَتَكُونُ عَلَامَةً فَارِقةً بَيْنَ مَرْحلَتَيْنِ

مُخْتَلِفَتَيْنِ كُتُبٍ يَّا، وَالسَّعُودِيَّةِ بَعْدَ هَذِهِ الْأَزْمَةِ، لَنْ تَكُونَ مِثْلَهَا كَانَ عَلَيْهِ الْحَالُ
قَبْلَهَا .. وَالْأَيَّامُ بَيْنَهُنَّا.